فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اوليائه فقال
تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون
قوم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى الصحابة
فقال اوليك منكم ايها الامة اوليك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة
العلما فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري عمر رضي الله عنهما في القصص فابى ان يأذن له وقال انه
الذبح واستاذنه رجل كان امام قومه ان اذا سلم من صلوته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا
وصلى حذيفة رضي الله عنه بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن افرادا اني رايت في نفسي انه ليس
في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفا من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض
عالم يستحق ان يقال انه عالم لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان
يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا من الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو
في اقصى الصين لسعينا اليه رجا ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات وانى يسمح اخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم
يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا والعياذ
بالله ان نقتحم ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا
عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبايح اعمالنا
كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني العمل والعباده وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستماله قلوب
الناس عن الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فانهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم
انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضا حوايجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس
وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على ساير الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلما وكانهم
يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك انه
تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال
ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى مغتر بالله امن من مكره غير خايف من سطوته
وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه
المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله تعالى ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو
لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم يتقربون الى الله عز وجل بالدنو منه وهو يمقت

الى الله تعالى بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم
الله عز وجل الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم ان يبغضه الله تعالى الى حد الاهمال كما روي ان رجلا
من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل
وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر به الخليع قال الخليع في نفسه لو جلست اليه لعل الله يرحمني
فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال
له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد
وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم فالجاهل
والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله عز وجل وخوفا منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر
والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد
فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك
قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف
ويرى له الفضل عليه وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو
انه لو استخف به مستخف او اذاه موذ استبعد ان يغفر الله تعالى له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله
تعالى ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين
العجب والكبر والاغترار بالله عز وجل وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون
ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله تعالى ما اراد به الا شفا غليله والانتقام
منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله عليه السلام وعرف جماعة قتلوا الانبيا
صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم
بعضهم فلم يصبهم مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه عليهم السلام
وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله تعالى باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه
فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطا السلمي حين كان
تهب الريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وما قاله الاخر بعد
انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله تعالى
ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل
ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله تعالى بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله تعالى
فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شي يبعد العبد عن الله تعالى وحكمه لنفسه
بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان

Copyright © King Saud University